**المحاضرة الثالثة**

**بدايات النقد في الأندلس**

تشكّلت الثقافة العربية ببلاد الأندلس إثر الفتوحات الإسلامية التي نقلت ثقافة المشرق إلى المغرب والأندلس، وعليه ظهرت في هذه البلاد قصائد عربية متشبّعة بمظاهر القصيدة المشرقية شكلا وأسلوبا ولغة، مع تميزها بالطابع الأندلسي من حيث البيئة والحضارة، وبدورها أثرت على الذوق الأدبي الأندلسي، ما انعكس على النقد الناشئ هناك.

ويمكن ردّ تطور النقد والأدب في الأندلس إلى:

1/ المدارس الفكرية التي انتشرت انتشارا واسعا في قرطبة وإشبيلية وغرناطة، وفي غيرها من المدن الأندلسية، حتى صارت محجّ الوافدين من كلّ الأصقاع. فمدينة (قرطبة) كما وصفها المقريّ ''وطن أولي العلم والنهى، وقلب الإقليم، وينبوع متفجّر العلوم، وقبّة الإسلام، وحضرة الإمام، ودار صوب العقول، وبستان ثمر الخواطر، وبحر درر القرائح، ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر وفرسان النظم والنثر، وبها أنشئت التأليفات الرائقة، وصنّفت التصنيفات الفائقة، والسبب في تبريز القوم حديثا وقديما على ما سواهم أن أفقهم القرطبي لم يشتمل قطّ إلّا على البحث والطلب، لأنواع العلم والأدب''.

ومثلها أيضا (طليطلة)، و(بلنسية) و(المرية) ...

2/ مساهمة حكّام وأمراء البلاد الذين وفّروا لها ظروف العمل، على غرار أمراء بني أمية، خاصة الخليفة عبد الرحمان الناصر، والحكم المستنصر بالله، والمنصور بن أبي عامر (ت 399 ه).

3/ الاستقرار، وهو أبرز العوامل التي أدّت إلى استقطاب العلماء، فقد ساعد على نشاط الرحلة، ومنها ازدهر العلم والأدب والنقد بدخول إبداعات المشارقة عن طريق الوافدين من المشرق، أو من المغرب.

ومن أشهر الكتب التي دخلت الأندلس كتاب (النوادر) أو (الأمالي)، لمؤلّفه أبي علي إسماعيل القالي البغدادي (ت 356ه)، والذي أملاه في شكل دروس ومحاضرات ألقاها على طلبته بجامع (الزهراء)، أيام عبد الرحمان الناصر عام (330ه). وقد نقل الدواوين والقصائد، وكتب اللغة والأخبار، وقد ركّز في اختياره على أجود القصائد الجاهلية والإسلامية والمحدثة.

كما دخلت كتب النقد المشرقي للأندلس، ومنها كتاب (طبقات الشعراء) لابن سلام الجمحي (ت232ه)، وظهرت كتب كثيرة على منواله منها: طبقة الكتّاب بالأندلس لمحمد بن موسى الأقشتين (ت307ه)، وطبقات الكتّاب في الأندلس لسكن بن سعيد (307ه)، وطبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن ربيعة (ت310ه)، وطبقات الشعراء بالأندلس لعثمان بن سعيد الكناني (ت320ه)، وطبقات الشعراء بالأندلس لمحمد بن عبد الرؤوف (ت343ه).

ودخل -أيضا- كتابا ابن قتيبة (ت276ه)، (أدب الكتاب)، و(عيون الأخبار)، وعلى منواله ألّف أبو بكر محمد ابن القوطية (ت367ه) كتاب (شرح صدر أدب الكتاب)، وأبو محمد عبد الله ابن السيّد البطليوسي (ت521ه) كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب)...

كما حظيت كتب الفلسفة بنصيبها من الرحلة إلى الأندلس، فبرز فلاسفة أمثال أبو الصلت بن عبد العزيز الداني (ت529ه)، صاحب كتاب (تقوّم الذهن)، وهو منشور بمدريد مع ترجمة إسبانية، وابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد (ت521ه)، صاحب رسالة فلسفية بعنوان (كتاب الحدائق في المطالب الفلسفية العويصة)، وهو مطبوع بالقاهرة، إضافة إلى ابن باجة (ت533ه)، وهو أشهر فيلسوف أندلسي، وابن طفيل (ت581ه)، وابن رشد (ت595ه) صاحب الشروحات الأرسطية، وحازم القرطاجني (ت684ه).

وبتقدم الأندلسيين في الشعر والكتابة، تزايد لديهم شعور الاعتزاز بثقافتهم وشخصيتهم، ونتج عن ذلك ظهور مؤلفات غايتها الدفاع عن الشعر الأندلسي.

وتعد تلك المصنفات مرحلة مهمة من مراحل النقد الأندلسي، وهي مرحلة الدفاع عن الهويّة الأندلسية، وارتبطت هذه المرحلة بالقرن الخامس الهجري، وقد تزامنت مع ظهور قصائد تتغنّى بالوطن، وتصوّر الرابطة القوية التي صار المغاربة يحسّون بها اتجاه بلادهم، فهذا ابن خفاجة يقول عن الأندلس:

إِنَّ للجَنــــةِ بالأنْدَلُـسِ\*\*\* مجـتَلَى حُسْـنٍ وَريّا نَفـس

فَسَنَا صُبْحَتهَا مِنْ شَنبٍ وَ دُجَى لَيْلتـِـهَا مِنْ لَعَس

وَإِذَا مَا هَبّتِ الرّيحُ صَبا\*\*\*صحْتُ وَاشَوْقِي إِلَى الأَنْدَلُس

وتجدر الإشارة إلى أنّ القرن الخامس يعدّ مميزا بالنسبة للنقد بهذه البلاد، ففي هذا القرن برزت الخصومة بين المشرق والأندلس بشكل بارز، وصارت مسألة الدفاع عن الوطن مهمّة الطبقة المثقفة والمبدعة، ويتجلّى ذلك مع ابن شهيد (ت425ه)، وابن حزم (ت456ه)، وابن سعيد المغربي (ت673ه)، حين بلغه تحامل ابن حوقل النصيبي على الأندلسيين، واصفا إيّاهم بالحمق والجبن ونقص العقل، وصغر الأحلام، فردّ عليه ابن سعيد في جزء من (المغرب) أسماه (الشهب الثاقبة في الإنصاف بين المشارقة والمغاربة)، وهو مفقود إلّا فقرات منه أوردها العمري، وكان ردّه بالحجة.

ومن تلك الكتب: رسالة أبي الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي (ت 629ه) (في الدفاع عن الأندلس) ، وهي نموذج صالح للدلالة على تبلور الشعور الأندلسي بالانتماء الاجتماعي والديني.

وتتضمن الرسالة على جانب تطبيقي، تمثل في مقابلة قصائد لأندلسيين أمثال ابن دراج القسطلي بأخرى لمشارقة أمثال المتنبي.

ثم أتبعت هذه المرحلة مرحلة أخرى من مراحل التأليف النقدي، حيث ظهرت فيها مجموعة من الكتب في شكل نقد وتعليقات وشروحات وتنبيهات على بعض الأخطاء الواقعة في بعض الكتب منها: كتاب (إصلاح الخلل الواقع في الجمل) لصاحبه أبي محمد عبد الله ابن السيّد البطليوسي (ت 520ه)، وفيه تنبيه على بعض خطأ أبي القاسم الزجاج في كتابه (الجمل في النحو)، وكتاب (بغية الآمل في ترتيب كتاب الكامل)، والمقصود به كتاب (الكامل) للمبرد.

**المصادر والمراجع:**

1- أحمد حاجم الربيعي، منهج البحث الأدبي في الأندلس، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010م، 1430ه.

2- مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1404ه، 1984م.

3- محمد رجب البيومي، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، ط1، مكتبة الدار العربية للكاتب، محرم 1429، يناير .

4- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2007م.

5- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، د ط، دار المعارف، النيل، القاهرة، مصر، د ت.

6- أيمن محمد ميدان، الحوار الأدبي بين المشرق والأندلس، د ط، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، سبتمبر 2001م.

7- الربعي بن سلامة، محاضرات في الأدب المغربي والأندلسي، د ط، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، د ت.

8- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010.